

الذات الأخرى بالنسبة للذات الغربية، فالإمبراطورية البيزنطية التي انفصلت عن روما حوالي منتصف القرن الرابع الميلادي، ووصلت أوجها في القرن الخامس والسادس والسابع، ولم تنته تماماً حتى سقطت القسطنطينية في منتصف القرن الخامس عشر، تلك الإمبراطورية خاضت صراعات طويلة مع الفرس كانت من ضمنها معركة أنطاكية (٦٤٠م) التي يصف البحري مشاهدتها في إيوان كسرى، وحملة هيراكليوس (٦٢٧ م) التي عاد منها بثروات هائلة كانت من ضمنها المصنوعات الفنية التي أثرت في تكوين الفنون البيزنطية.^(٤) والمعروف أن المصنوعات الفنية الفارسية كالمنسوجات والأنية الفخارية والنقوش المعمارية تحفل كثيراً بالزخرفة وبالتشكيل الفسيفسائي غير القائم على المحاكاة، على عكس النماذج الفنية في الغرب التي تهيمن عليها المحاكاة، أو تصوير الأشياء الموجودة في الطبيعة.

تلك النماذج من الفن البيزنطي شاهدها الشاعر الأيرلندي في إيطاليا حين زارها في مطلع هذا القرن، أسهمت انطباعاته عنها في تشكيل رؤيته الفلسفية والشعرية للتاريخ، فاحتلت بيزنطة منذ ذلك الحين موقعاً بارزاً بالنسبة له في مسيرة الحضارات كنقطة امتزاج مثلى للشرق والغرب، لآسيا وأوروبا، لليوناني - الروماني والفارسي. أي أن بيزنطة أصبحت ملتقى الذات بالذات المضادة، أو بالأحرى. وهو يرى أن الفن يصل في مثل هذا الامتزاج إلى مرتبة رفيعة من الإبداع. فبمجيء الشكل الآخر، أو النموذج المختلف تضعف سيطرة الذات على نفسها، وتفتح لها آفاق جديدة تقترب بها من الكمال. ويعطينا بيتس مثلاً على هذا في كتابه «رؤية» الذي أنهى كتابته عام ١٩٢٥م، أي أنه كان مترامناً مع كتابته لقصيدة «الإبحار إلى بيزنطة». يقول إن تحطيم الأيقونات، وهي النماذج الدينية الكنسية التي تحمل صوراً مقدسة، في بيزنطة في القرنين الثامن والتاسع الميلاديين، إن ذلك الحدث «ليس سوى تحطيم لما كان إغريقياً في الزخرفة، تحطيم ربما ترافق مع روعة تتجدد في كل ما تحدر من الجنة الفارسية القديمة، وهو حدث تضمن محاولة جعل اللاهوت أكثر نقشاً وروحانية وتجريدية».^(٥)

Edward Gibbon, *The Decline and Fall of the Roman Empire*, intro. (٤)

by Christopher Dawson (London: Everyman's Library, 1969) 5.408. Also see Hayford Peirce and Royall Tyler, *Byzantine Art* (London: Ernest Benn 1926) 6,10

AVision (1965;New York: Collier Books,1973) 282 (٥)